Majallah Al-Qism Al-Arabi
University of the Punjab,
Lahore - Pakistan.
No.27, Issue: 2020

مجلة القسم العربي
جامعة بنجاب، لاهور– باكستان.
العدد السابع والعشرون، 2020م.

نشأة الشعرالشعبي"الموشّحات" في الأدب العربي الأندلسي
دراسة تحليلية

د. رحمى عمران
الأستاذة المشاركة بقسم اللغة العربية
جامعة بهاء الدين زكريا ملتان

Abstract:

Muwashahat is the name for both Arabic poetic forms in a secular musical genre. The poetic form consists of a multi-lined strophic verse poem written in classical Arabic. It consists of five stanzas, alternating with a refrain with a running rhyme. It was usually to open with for two lines which matched the second part of the poem in rhyme and meter, in North Africa Poets ignore the strict rules of Arabic meter which were following by the poets in the East. The musical genre of the same name is used" Muwashah"for texts lyrics, still in classical Arabic.

So the said article deals Muwashah as a poetic form that includes music and vocalization then it also describes its origin in Muslim Spain during the tenth century and present it as a strophic poem with repeated rondo-like returns to a musical refrain.

Keywords: Muwashahat, Arabic poetic form, Muslim Spain, strophic poem, rondo.

تعريف الموشّحات وعناصرها

ذكر ابن سناء الملك في كتابه دار الطّراز معرفا الموشّح فقال الموشّح كلام منظوم على وزن مخصوص وهو يتألّف في الأكثر من ستّة أقفال وخمسة أبيات فيقال له التّام و في الأقل من خمسة أقفال و خمسة أبيات فيقال له الأقرع فالتّام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ماابتدئ فيه بالأبيات وقد سمّى هذالفنّ بالموشّح بما فيه من ترصيع و تزيين و تناظر و صنعة فكأنّهم شبهه بوشاح المرأة المرصّع باللُّؤْلُؤ والجوهر ويحسن بنا لنفهم أجزاء الموشّحة و نظامها أن نورد هنا موشّحا يكون تطبيقيّا لمانقول.

قال الأعمى التّطيلى في موشّح له [1].

ضاحك عن جمان	سافر عن بدر	ضاق عن الزّمان	وحواه صدرى
جزء1	جزء2	جزء3	جزء 4

آه ممّا أجد شفنى ما أجد 1. جزء مركب

قام بى و قعد باطش متّئد 2. جزء مركب

كلّماقلت قد قال لى أين قد 3. جزء مركب

فمطلع الموشّح المؤلّف من أربعة أجزاء يسمّى اصطلاحا القفل الأول والقفل الثّانى هو:

وانشنى خوطبان ذا م هزّ نضر عابثته يدان للصّبا والقطر

وما بين هذين القفلين يطلق عليه اسم البيت، وليس من الضرورى أن يكون بيتا من الشعر مؤلّفا من شطرين كماهو معروف في القصيدة التقليدية: والأقفال أجزاء مؤلّفة يلزم أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها في وزن قوافيها و عدد أجزائها. والأبيات هي أجزاء مولفة مفردة أو مركبة يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزن أجزائها لا في قوافيها. ونلاحظ إذا تلوناهذا الموشح بكامله أن القفل قد تكرر ست مرات مع المحافظة على قوافي

أجزائها في جميع الأقفال. وأن البيت قد تكرر خمس مرات ولم تلتزم قافية واحة في جميع الأبيات.

ومثل هذه الموشحة تامة لانها تبتدئ بقفل و تنتهى بقفل. والنوع الذى يبتدئ بالبيت وينتهى با لقفل يسمى أقرع كما ذكرنا وأقل ما يتركب القفل من جزئين فصاعدا إلى ثمانية أجزاء و عشرة أجزاء. وأقل ما يكون البيت ثلاثة أجزاء (كماهو في الموشح المذكور) وقد يكون في النادر من جزئين وقد يكون من ثلاثة أجزاء ونصف، وهذا لا يكون إلّا فيما أجزاؤه مركبة، و أكثر ما يكون خمسة أجزاء. والجزء من القفل لايكون إلّا مفردا، والجزء من البيت قديكون مفردا فيسمى البيت بسيطا، وقد يكون مركبا والمركب لا يتركب إلّا من فقرتين او من ثلاث او من أربع فقر وقد يتركب في الاقل من خمس فقر.مما تقدم نرى أن القفل في هذا الموشح مؤلّف من أربعة أجزاء والبيت مؤلّف من ثلاثة أجزاء مركبة من فقرتين. ولنوجز فيما يلى خصائص الأقفال والأبيات التي اشرنا اليها:

القفل:

يتركب القفل من جزئين فأكثر لى ثمانية او عشرة وقد اوصله ابن سناء الملك إلى أحد عشر.

البيت:

هو إما بسيط او مركب.

فإن تألّف البيت من أجزاء مفردة سمى بسيطا.

وإن تألّف كل جزء منه من فقرتين او أكثر سمى مركبا.

والبيت البسيط يتألّف من ثلاثة أجزاء او أربعة او خمسة.فمثال البيت البسيط المؤلّف من ثلاثة أجزاء قول ابن بقى:

عبث الشوق بقلبى فاشتكى ألم الوجد فلبّت أدمعى

(قفل من جزاين)

جزء 1 أيّها الناس فؤادى شغف

جزء 2 وهو في بغى الهوى لا ينصف

جزء 3 كم أداريه و دمعى يكف

أيّها الشادن من علّمكا بسهام اللحظ قتل السّبع

(قفل من جزاين)

أما المركب من الأبيات فهو ما كان كل جزء منه مركبا من فقرتين أو ثلاث او أربع او خمس فقر. فإذا لا حظنا أن البيت نفسه يكون مكونا من ثلاثة اجزاء او اكثر، نرى انه يحدث من ذلك صور كثيرة.

فمثال البيت المركب من فقرتين و ثلاثة أجزاء موشح الأعمى التطيلى الذى قدمناه، وهذا الموشح الذى يذكره ابن سناء الملك(2).

كذا يقتاد سنا الكوكب الوقاد إلى الجلاس مشعشة الأكواس

اقم عذرى فقد آن ان اعكف على خمر يطوف بها أوطف

كما تدرى هضيم الحشا مخطف

ومثال البيت المركب من ثلاث فقر و ثلاثة أجزاءهذا الموشح الذى يذكره ايضا ابن سناء الملك(3).

من لى به يرنو بمقلتى ساحر إلى العباد

يناى به الحسن فينثنى نافر صعب القياد

وتارة يدنو كما احتسى الطائر ماء الثماد

نلاحظ أن الأندلسيين حاولوا أن يفتنوا في الأقفال والأبيات، وعدد أجزائها، والتزام قوافيها، ليصلوا من ذلك إلى انواع جديدة تحمل اسماء جديدة، فمن ذلك ان يسموا القفل لازمة إذا كان القفل بيتين صدراهما قافية واحة وعجزاهما كذلك، ثم ياتى بعد ذلك البيت ثلاثة أجزاء كل جزء فقرتان، متفقة صدورها في القافية وكذلك اعجازها، ثم ياتى القفل وبعده بيت وهكذا إلى النهاية.

مثال ذلك قول ابن زمرك:

بالله يا قامة القضيب ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن في القلوب وايد اللحظ بالحور
من لم يكن طبعة رقيقا لم يدر ما لذة الصِّبا
فرب حر غدا رقيقا تملكه نفحة الصَّبا
نشوان لم يشرب الرحيقا لكن إلى الحسن قد صبا
فعذب القلب بالوجيب ونعم العين بالنظر
وبات والدمع في صبيب يقدح في قلبه الشرر[4].

هذا وكل قفل مع البيت الذى يليه يسمى بالسمط، ونرى أن الموشحة تتالف من عدة أسماط متشابهة في اقفالها مختلفة في أبياتها، وهذا ما يكون نوعا من الترصيع يقربه من وشاح المرة الذى شبهت به الموشحات.

وقد ذكر ابن سناء الملك في كتابه "دار الطراز" امثلة على جميع ما ذكرنا يمكن الرجوع اليها لتسهيل الإيضاح.

الخرجة:

وآخر قفل من الموشح يسمى الخرجة، ويفضل الوشاحون أن تكون عامية لبعث الهزل والظرف في الموشحة، إلّا في المديح وفي ذلك يقول ابن سناء الملك: "والشرط فيها أن تكون حجاجية[5] من قبل السخف قزمانية[6] من قبل اللحن حارة محرقة حادة منضجة من الفاظ العامة ولغات الداصة، فان كانت معربة الالفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقفال خرج الموشح من أن يكون موشحا لهم الا إن كان موشح مدح وذكر الممدوح في الخرجة فإنه يحسن أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقى:

إنّما يحيى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الانام

وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم الممدوح ولكن بشرط أن تكون الفاظها غزلة جدا،هزازة سحارة خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة وهذا

معجز معوز وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين او ثلاثة كقول ابن بقى:

ليل طويل وما معين يا قلب بعض الناس اماتلين؟

فمن قدر أن يقول هكذا فليعرب وإلا فليغرب"[7]

ويجعل الوشاحون الخرجة في الغالب على السنة الصبيان والنسوان والسكارى او على السنة الحيوانات كالحمام او المجردات كالغرام والحرب ويمهدون لها بكلمة قال او غنى او ما يقارب ذلك كقول عبادة:

إن الحمام في ايكها تشدو

قل هل علم اوهل عهد او كان كالمعتصم والمعتضد ملكان

وهناك صفات اخرى للخرجة ذكرها ابن سناء الملك في كتابه "دار الطراز"

نشوء الموشحات قالبها الشعرى

مما لا شك فيه أن لحياة اللهو والمجون ولإنتشار السمر والغناء في الأندلس اثرا في اختراع الموشح وظهوره في تلك الارض ذات الطبيعة الوارفة الظلال. فالشعر الخفيف، كما نعلم، مادة الغناء، فإذا كان انتشار الغناء في الأندلس قد استدعى ظهور الموشح، فإنه ايضا قد حدد له وزنه وحرره من قيود الشعر التقليدى وقوالب الأوزان المعروفة وعبودية القافية الوحيدة. فالنهضة الغنائية إذا كانت من دواعى ظهورهذا الفن الجديد. إلا أن هناك دراسات تبين العلاقة بين الشعر الفرنسى الأسبانى القديم الذى كان ينشده شعراء جنوبى فرنسه المعروفون بشعراء التروبادور وبين فن الموشحات[8]. فالشعر الغنائى الذى كان ينشده شعراء التروبادور في مطلع القرن الثانى عشر الميلادى (وفي هذا القرن كانت الموشحات معروفة في الأندلس) قد شابه في اغراضه اغراض الموشحات، وفي طليعتها الحب والغزل والطبيعة والمدح والحماسة والهجاء و اتفق معها في بعض قوالبه كالقصائد المسماة (البالاد)[9] و(الأغاني الوجدانية)[10] فهذان

النوعان من شعر شعراء التروبادور يتالفان من اسماط واجزاء تشبه،إلى حد ما، في ترتيبها اسماط الموشحات و اجزاءها تتعدد فيها الأوزان والقوافي، اضف إلى ذلك أن التروبادور كانوا يعتمدون في نظمهم على الموسيقى والغناء كماهو الشان في الموشحات. ولكن هذا التشابه لا يكفي ليحل لنا مشكلة التاثير المتبادل ونرى أن النتائج التي انتهى إليها بعض الباحثين في بيان الروابط التي تربط بين الموشحات والشعر الاجنبى الذى كان يتاخم المسمين في اسبانيا او يتسرب إلى اوساطهم – إن هذه نتائج لاتزال تحتاج إلى مناقشة ولا يمكننا أن ننظر إليها كحقيقة لا يعتريها الشك ولكن إن شككنا في مدى هذا التاثير وشكله فلا يمكننا أن ننكر وجوده، فالطبيعة الجديدة، سواء اكانت خاصة بالأندلس ام بما يحيط بها وبما يردها من اصداء، قد لعبت دورها في اختراع فن الموشح كما لعب الشعر العربي دوره في حياةالأسبانيين و شعرهم وفي الأوربي الذى انبثق عن الشعر التروبادورى نفسه. وها نحن اولاء نرى أن الغناء العربي قد طبع الغناء الأندلسي بطابعه،ولا نزال نلمس آثار هذا الطابع في الاغانى الأسبانية حتى الآن.

فلنقبل اذا تاثير الوسط الجديد في اختراع فن الموشحات دون أن نذهب مع بعض المتطرفين إلى أنه فن مستعرب. ولنقبل ايضا اثر الشعر العربي فيما جاوره من شعراجنبى في تلك الفترة، ولنترك شرح هذه القضيه إلى مجال آخر يتسع فيه تفنيد لا كتب في هذا الموضوع في مختلف اللغات ولا سيما الأسبانية مع بسط مصادر الأولى التي استند إليها الباحثون، وهذا أمر يجب أن يفرد له بحث خاص وتعوزنا وسائله وهو لايزال، في حد ذاته، في نطاق الجدل العمى وموضوع بعض الاطروحات الادبية.

اولية الموشح:

ليس الموشح من اختراع المشارقة وقد نسب بعض المؤرخين إلى ابن المعتز الموشحة التي مطلعها:

ايهاالساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

وهي في الواقع، ليست له وإنما هي لابن زهر الأندلسي[11]، ويعترف ابن بسام وابن خلدون وغيرهما ممن كتبوا في الموشح بأن فضل اختراع الموشحات يعود لأهل الأندلس.واذا كان المؤرخون قداتفقوا على أن هذا الفن نتاج أندلسى فإن هم قد اختلفوا في مخترع الموشح، فهناك روايتان مختلفتان تقدم كل منهما اسما لمخترع هذا الفن يختلف عن الإسم الاخر.

فالرواية الأولى، وهى ما يورده ابن بسام في زخيرته، تقول:"واول من صنع اوزان هذه الموشحات بافقنا واختراع طريقتها فيما بلغنى مُحَمَّد بن محمود (حمود) القبرى الضرير.

اما الرواية الثانية، وهى ما يذكره ابن خلدون في مقدمته، فتقول:"وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبرى من شعراء الامير عبدالله بن مُحَمَّد المروانى واخذ عنه ابو عمر احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ولم يظهر لهما مع المتاخرين ذكر وكسدت موشحاتهما فكان اول من برع في هذا الشان عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية..... وزعموا أنه لم يسبقه وشاح من معاصريه الذين كانوافي زمن الطوائف.

فهل كان مُحَمَّد بن محمود القبرى غير مقدم بن معافي القبرى؟ كان الشك يعتورنا في حل حذه المعضلة، وكنت اظن أن الرجلين رجل واحد وأن مخترع الموشح ماهو إلا مُحَمَّد بن محمود القبرى كما جاء في الذخيرة اما مقدم بن معافي الذى يورده ابن خلدون فماهو إلا تحريف لذاك الاسم.

ولكن الدكتور عبد العزيز الاهوانى ازاح النقاب عن هذه القضية عندما اوضح في مقال نشره في مجلة الأندلس الأسبانية أن كلا الشاعرين الأندلسيين المنسوبين إلى قرية قبرة معروفان ولهما تراجم مدونة و أن مُحَمَّد بن محمود كان ضريرا أما مقدم بن معافي فلم يكن كذلك، وأن هناك نصا جديدا ظهر منذ حين وهو يثبت الروايتين: رواية ابن بسام ورواية ابن خلدون المنقولة عن الجارى، وهذا النص ماخوذ عن كتاب مزية المرية لإبن خاتمة الأنصاري وقد نقله عنه المقرى في ازهار

الرياض. ولهذا كله يرى الدكتور الاهوانى أنه ليس من داع لأن نفترض أن احد الاسمين تحريف عن الثانى.

لا شك في اننا نقر و نعترف، بعدهذا التحقيق، بأن مقدم بن معافي شخص آخر مستقل غير مُحَمَّد بن محمود، ولكن الا يحق لنا أن نعجب مع المستشرق غارسيا غومس[12] من أن يكون مخترع الموشح شاعرين أندلسيين كلاهما من قرية واحدة هى قبرة وكلاهما من عصر واحد هو عصر الامير عبدالله بن مُحَمَّد المروانى؟

نعم لنا الحق في أن نعجب، كما كان لنا الحق في أن نتردد حول شخص مخترع هذا الفن وحول حقيقة اسمه.

ولكن ليس من الواجب، على الرغم من عجبنا، أن نعتقد بضرورة وجود مخترع واحد لفن متعدد المنابع كالموشح،هذا الفن الذى اسهم في تكونه عدد من الموثرات الإجتماعية والاقليمية والأدبية والغنائية. واننا لنجد طبيعا الا يكون ظهوره قد بدا فجاءة بل لابد، في بادئ الامر، من محاولات مختلفة تظهر على السنة عدد من الشعراء، شانه في ذلك شان كثير من الفنون الجديدة التي تتعثر في فاتحة عهدها ثم لا تلبث أن تجد معالمها الواضحة واسسها الجلية على يد من مارسها واهتم بها ووجد فيهاهواه و مبتغاه.

لهذا يمكننا أن نقول أنه منذ نهاية القرن الثالث الهجرى بدات محاولات شعرية في هذا الفن الجديد، إلا أن المحاولات التي قام بهاهذان الشاعران وغيرهما ممن لم تصلنا اسماؤهم كانت محاولات ابتدائية، لهذا كسدت موشحاتهم ولم يروها الناس، ولم تصلنا ايضا موشحات ابن عبد ربه الذى زعم بعضهم خطا أنه مخترع الموشح. وكان علينا أن ننتظر مجئ الشاعر عبادة ابن ماء السماء(لا عباده القزاز كما يذكر ابن خلدون[13]) المتوفي سنة422هـ/ 1040م لنرى الموشح قد اصبح فنا قائما بذاته له اسسه وقواعده وله اثره وجماله وشعراؤه. وفي هذا الصدد يقول ابن بسام:

" وكان ابوبكر(عبادة بن ماء السماء) في ذلك العصر شيخ الصناعةو امام الجماعة، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا فقالت له غرائبه مرحبا واهلا. وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الأندلس طريقتها ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود، ولا منظومة العقود، فاقام عبادة هذا منادها، وقوم ميلها وسنادها، مكانها لم تسمع بالأندلس إلا منه، ولا اخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته."

وهكذا اخذ الموشح، ابتداء من القرن الرابع الهجرى، يزدهر ويسمو في سماء الأندلس، وتتابع شعراء وشاحون على جانب من العبقرية كأبى بكر عبادة ابن ماء السماء، وعبادة القزاز، وابن اللبانة والاعمى التطيلى وابن بقى وابن باجه وابى بكر بن زهر، وابن سهل ولسان الدين بن الخطيب وتلميذه ابن زمرك و غيرهم. وقد عجز كثير من المتاخرين عن تقليد موشحات هولاء الشعراء وبلوغ عبقريتهم في هذا الفن، حتى بقيت موشحاتهم إلى اليوم مثالا يحتذى.

ويظهر أن جميع هولاء الوشاحين الأندلسيين لم يبينوا لنا بصورة واضحة قواعد الموشح، وان كنا نرى،هنا وهناك، في كتب الشعر والتراجم التي تتحدث عن الأندلسيين كالذخيرة ونفح الطيب، بعض الإشارات إلى اصول هذا الفن. ولعل ابن سناء الملك الشاعر المصرى الذى ولد بالقاهرة سنة 550هـ وقضى فيها اكثر ايامه منعما حتى توفي سنة 608هـ، هو اول من قام بهذه المهمة فحاول في كتابه " دار الطراز"[(14)] أن يحدد قواعدهذا الفن الشعرى ويبين خصائصه وطرق نظمه واوزانه، فكان بذلك الشاعر الأول المنظم لقواعد الموشح في المشرق والمغرب. والمؤرخون، عندما يذكرون ابن سناء الملك يشيرون اليه كاول مشرقى كان له فضل ادخال فن الموشحات إلى الشرق إلا أن الشاعر المصرى لا يتردد،هو نفسه، في الاعتراف بقصوره عن مجاراة الأندلسيين في هذا الفن. ومن الموكد أن موشحاته لا تبلغ جودة موشحات الأندلسيين.

لقد قلنا إن هذا الفن الجديد لم يحدث فجاءة على شكله التام، وهو ايضا لم ينظمه الشعراء دون ان يلقى مقاومة من النقاد. فقد كان يرى فيه المحافظون خروجا على القديم و بدعة شعرية لم يالفوها، فعابوا لذلك اصحابه في الغرب وفي الشرق واعتبروه ضعفا وظاهرة من ظواهر الانحطاط الادبى.

ومما لا شك فيه ان ظهوره في عصور الانحطاط إلى جانب اثره الضار في اللغة، يؤيد هذا القول، ولكن يجب الا ننسى أن بعض المحاولات في الخروج على نظام القصيدة التقليدية قد ظهرت عند المشارق منذ صدر الدولة العباسية عندما ضاقت الحياة العباسية في بغداد بنظام القصيدة وحاولت التحرر من قيودها لتجارى البيئه الحضرية الجديدة. لذا قام بعض الشعراء كمسلم بن الوليد وابى نواس وابى العتاهية يخترعون بعض الأوزان وينظمون فيها، كما اخترعت مولاة للبرامكة(المواليا)وكانت ترثيهم به. ولما حملت إلى الرشيد، وكان قد منع من يرثيهم بشعر، قالت الجارية ليس هذا شعرا لأنه عامى ملحون، وهو في الواقع شعر عامى على وزن البسيط كانت تصيح الجارية بعد كل قطعة منه (ومولاه)، وإلى جانب التحرر من الوزن بدا تجديد في القافية فظهرت المخمسات، وهو أن يؤتى بخمسة اقسمة من وزن وقافية ثم بخمسة اخرى من الوزن وقافية اخرى إلى آخر القصيدة، كالقصيدتين المنشورتين في ديوان ابن زيدون تحت عنوان موشح[15] فهما من المخمسات لا من الموشحات، لمحافظة اسماطها على وزن واحد في الابيات والاقفال وعدم اختلاف قوافي الاقفال عن قوافي الابيات إلا في الجزء الاخيرمن القفل، وقد ظهر ايضا، فيما يتعلق بالقافية، المسمط وهو أن يبتدءى الشاعر ببيت مصرع ثم ياتى باربعة اقسمة على غير قافية، ثم يعيد قسيما على قافية البيت الأول، وربما خلا من البيت المصرع وكان على اقل من اربعة اقسمة كقول القائل:

غزال هاج لى شجنا فبت مكابدا حزنا
عميد القلب مرتهنا بذكر اللهو والطرب

وظهرت المزدوجات وهو أن يؤتى بشطرين من قافية ثم بآخرين من قافية اخرى كقول ابى العتاهية:

حسبك ما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت

ان الشباب حجة التصابى روائح الجنة في الشباب

ويقال أن اول من نظم المزودج بشار ثم تبعه ابان بن عبد الحميد و ابو العتاهية ولكن نقاد الشعر كابن رشيق راوا فيه عبثا واس وتهانه باشعر، حتى أن فحول الشعراء ابتعدوا عن هذه الانواع التي عدوها مظهرا من مظاهر العجز والضعف وفضلوا التزام القافية الواحدة. فليس غريبا اذن ان يلاقى الموشح مقاومة، وهو اكثر حرية من هذه الانواع، وان يبقى في نظر المحافظين والنقاد دليلا على الانحلال الشعرى.

إلا أن سكان الجزيرة الأندلسية على الرغم من ذلك استساغوه واقبلوا عليه لملاءمته لهوى نفوسهم، ولأنه استمد مقوماته وعناصر وحيه من هذا الوسط الأندلسي الذى عاش فيه متناغما مع حياة شعرائه الذين مالوا إلى السهل ونشدوا اللهو والامتاع الموسيقى. لذلك لم يجدوا حرجا في ان يغرفوا من معينه في مختلف الأغراض الشعرية متجاهلين ما فيه من اسفاف وضعف، بل لعل هذا الضعف اللغوى ما كان ليبدو لهم واضحا لبعدهم عن مواطن اللغة ومنابعها الاصلية ولإختلاطهم بعناصر اجنبية. ولهذا بقيت الموشحات غذاء الأندلسيين يجدون فيها ذلك اللحن الموسيقى وتلك النشوة المتصلة التي لا تعرف اليقظة إلا على ياس جديد ولهو جديد. وكان ابتداع فن الموشح فتحا جديدا في التفلت من قيود الوزن والقافية.

وسنرى عند الكلام على اوزان الموشحات كيف أن ابن سناء الملك يجعلها ملازمة للموسيقى والغناء تستمد منهما اوزنها ونغمتها وتهزا بعد ذلك بقواعد العروض وبحور الشعر التقليدية.

اوزان الموشحات.....اغراضها وفنها وقيمتها

اوزان الموشحات:

تنقسم الموشحات،بشكل عام،إلى قسمين من ناحية اوزانها، فمنها ما جاء على اوزان اشعار العرب، و منها ما لا وزن له فيها ولا المام له بها كما يقول ابن سناء الملك(16)

أما القسم الأول: اى ما جاء على بحور الشعر المعروفة، فيعده الوشاحون مرذولا وهو في نظرهم اشبه بالمخمسات منه بالموشحات ولا ينظمه الا الضعفاء من اصحاب صنعة التوشيح، إلا إذا اختلفت قوافي قفله فإنه يخرج باختلاف قوافي الاقفال عن المخمسات كقول ابن زهر في موشحته الشهيرة التي من بحر الرمل:

يا ايها الساقى إليك المشتكى قددعوناك وان لم تسمع

وهم يستحسنون ان يحوروا فيه ويخرجوه عن الوزن المعروف بادخال كلمة او حركة تتخلل فقراته. فمثال الكلمة قول ابن بقى:

صبرت والصبر شيمة العانى ولم اقل للمطيل هجرانى معذبى كفانى

فهذا من المنسرح واخرجه منه قوله:((معذبى كفانى))

ومثال الحركة:

ياويح صب إلى البرق. له نظر وفي البكاء مع الورق. له وطر

فهذا من البسيط، والتزام حركة الخفض في البرق والورق اخرجه عن وزنه.

وقد تكون اقفال الموشح موافقة لابياته في الوزن وقد تكون مخالفة لها، وقد شرح ابن سناء الملك في كتابه مختلف الحالات(17).

أما القسم الثانى: فهو ما خالف اوزان العرب ولم يخضع لعروض الشعر التقليدى وكان غرضه الغناء اكثر من الإنشاد وهو الكثير الشائع في الموشحات، وقد اشار إليه ابن سناء الملك بقوله:

((والقسم الثانى من الموشحات هو مالا مدخل لشيء منه في شيء من اوزان العرب. وهذا القسم منها هو الكثير، والجم الغفير،والعدد الذى لا ينحصر، والشارد الذى لا ينضبط. وكنت اردت أن اقيم لها عروضا يكون دفترا لحسابها، وميزانا لاوتادها واسبابها فعز ذلك واعوز، لخروجها عن الحصر وانفلاتها من الكف وما لها عروض إلا التلحين ولا ضرب إلا لاضرب ولا اوتاد إلا الملاوى ولا اسباب إلا الاوتار، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور، السالم من المزحوف، واكثرها مبنى على تاليف الارغن، والغناء بها على غير الارغن مستعار وعلى سواه مجاز))[18].

وقال في مكان آخر من كتابه:

((والموشحات تنقسم من جهة اخرى إلى قسمين:قسم يستقل التلحين به ولا يفتقر إلى ما يعينه عليه وهو اكثرها،وقسم لا يحتمله التلحين ولا يمشى به إلا بأن يتوكا على لفظة لا معنى لها تكون دعامة للتلحين وعكازا للمعنى كقول ابن بقى:

من طالب ثار قتلى ظبيات الحدوج فتنات الحجيج

فان التلحين لايستقيم الا بان يقول:لالا بين الجزءين الجميين من هذا القفل))[19].

يتبين مما تقدم أن العرب إنما اخترعوا الموشحات من اجل الغناء فيجدر بنا اذن الا نطلب من الشاعر الوشاح أن يتقيد بوزن قديم معروف تقيدا شديدا. ان الذى يميز هذا الفن ويكسبه جمالا ليس العروض المقنن بل حرية الوزن، وهى مع هذا حرية تقودها اذن موسيقية و ضرورات التلحين، و على هذا فليس العجز هو الذى جعل العرب يحجمون عن ايجاد عروض مقنن للموشح كعروض الشعر العربي التقليدى بل وجدوا ذلك يتنافي مع روح هذا الفن الخاضع للحرية والتجديد والتلحين والغناء. ونلاحظ أن المستشرق الالمانى (هارتمان) في كتابه القديم عن الموشح قد حاول ارجاع اوزان الموشحات إلى 146 وزنا او بحرا مشتقة

من بحور الشعر العربي الستة عشرة ولكن لا يمكننا ان نرى في هذه المحاولة الا التصنع والتكلف، اذ هناك موشحات تشذ عن الاوزان التي ذكرها هارتمان ولا تخضع لها[20].

اغراضها ومعانيها ولغتها وقيمتها:

قال ابن سناء الملك:"الموشحات يعمل فيها ما يعمل في انواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسم في المكفر خاصة ان لا يعمل الا على وزن موشح معروف وقوافي اقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح ليدل على انه مكفر ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره".[21]

يتبين لنا من هذا القول ان الموشح قدنظم في اكثر اغراض الشعر المعروفة، ولكن لما كانت الموشحات قد اخترعت في سبيل الغناء كان من الطبيعى ان تنظم بكثرة في الأغراض التي تناسب هذا الفن كالغزل ووصف مجالس اللهو والخمر ووصف الطبيعة. كما أنهم قد نظموها في المدح بغية التكسب، ولأن قصور الخلفاء والامراء كثيرا ما كانت تضم مجالس الغناء الفخمة فيجد الشاعر والمغنى فرصة لايصال مدحه إلى آذان الامير عن طريق الغناء فتزداد نشوة الممدوح وهو في طربه ويزيد اغداقه وكرمه.

ويظهر ان الموشحات خلقت لتصف حياة الدعة والانس والهناء، ولهذا كلما تعرضت لهذه الأغراض بدا تاثيرها وظهرت جدتها وكانت اعلق بالنفوس ولاسيما عندما تتعرض لوصف الطبيعة وما اكثر ما تتعرض فتصورها بالوانها واصباغها، وطيورها وبلابلها، وازهارها واشجارها، وجداولها وعبيرها. وتجلى لنا حب الأندلسي لوطنه، واختلاط الطبيعه بروحه، وكيف انها ملتقى العشاق وساحة اللهو والطرب، ومبعث السلوان والحنين.

الحواشي والهوامش

1. ابن سناء الملك: دار الطراز عمل الموشحات، نشر الدكتور جودت الركابى – دمشق 1949م، ص 43

2.دارالطراز ص 55

3.دارالطراز ص 63

4.العذارى المائسات ص94

5.نسبة إلى الشاعر ابى عبدالله الحجاج البعدادى مشهور بمجونه توفي سنه 391هـ /1000م

6.نسبة إلى ابن قزمان القرطبى شاعر الزجل المشهور توفي سنه555هـ/1160م

7.دار الطراز ص31/30

8. راجع كتاب الدكتور نيكل: "الشعر الأندلسي وصلت بشعر التروبادور" (نشر بالانجليزية في بلتيمور). وانظر عرضا لهذا الكتاب للدكتور عمر فروخ مجلة " الاديب" بيروت،نيسان سنة1947

La ballade.9

La chanson courtoise.10

11. هوابو بكر مُحَّد زهر الاشبيلى من اسرة زهر المشهورة في الأندلس.ولد سنة 507هـ كان طبيبا اديبا،اتصل بدولة المرابطين ثم بدولة الموحدين و مات مسموما في آخر سنة 595هـ

12.انظر تعليقه على مقال الدكتور الاهوانى في العدد نفسه من مجلة الأندلس الاسبانية

13.انظر ص387من هذا الكتاب الحاشية رقم 5.

14.انظرطبعتنا لهذا الكتاب الذى قمنا بتحقيقه ونشره.

15.الديوان ص 109 و229.

16.دار الطراز ص33.

17. دار الطراز ص38/35.

18.دار الطراز ص 35.

19 . دار الطراز ص 37.

20. Das muwashshah P. 199 -002

21.دار الطراز ص.38

فهرس المصادروالمراجع

1. ابن الابار (ابو عبدالله مُحَمَّد بن عبدالله): الحلة السيراء- نشر دوزى منها مقتطفات، مدريد 1886م.
2. ابن الابار (ابو عبدالله مُحَمَّد بن عبدالله): التكملة لكتاب الصلة، نشر جزءا منه كوديرا في المكتبة الأندلسية(ج 5-6مدريد 1887-1890).
3. ابن ابى اصيبعة: عيون الانباء في طبقات الاطباء، مجلدان، طبعة مصر1304
4. ابن بسام: الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة – نشرت منه كلية الاداب بجامعة القاهرة ثلاثة مجلدات: القسم الأول في مجلدين، ثم المجلد الاو من القسم الرابع. القاهرة 1939-1945م.
5. ابن بشكوال (ابوالقاسم خلف بن عبدالملك): كتاب اصلة في تاريخ ائمة الأندلس وعلمائهم ومحد ثيهم وفقهائهم وادبائهم – طبعة كوديرا في مجلدين، مدريد1882-1883.
6. ابن حزم: طوق الحمامة في الالفة والالاف- طبعة دمشق ثم طبعة القاهرة 1950م.
7. ابن حمديس:ديوان، طبعة بالرم 1883، روما1897وبيروت1960م.
8. ابن حوقل: كتاب المسالك والممالك – ليدن 1873.
9. ابن حيان: كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس (مخطوط وحيد في اكسفورد) نشر الاب ملثور انطونيا الجزء الخاص بامارة المنذر وعبدالله، باريس1937.
10. ابن خفاجة: ديوان طبعة القاهرة 1286، وطبعة مكتبة صادر، بيروت 1951.
11. ابن خلدون: المقدمة.

12. ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر، بولاق1284هـ-7 اجزاء.

13. ابن خلكان: وفيات الاعيان – القاهرة 1310هـ، جزءان.

14. ابن خير(ابوبكر مُحَمَّد): الفهرسة، فهرسة ما رواه عن شيوخة من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع المعارف – نشره ريبيرا وكوديرا في سرقسطة 1894-1895(B.B.H.,IX-X).

15. ابن رشيق: العمدة،القاهرة 1325 – 1907م جزءان في مجلد.

16. ابن زيدون:ديوان، طبعة كامل كيلانى وعبدالرحمن خليفة، القاهرة1932/1351.وطبعة على عبدالعظيم، القاهرة 1957.

17. ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب 1و2، بتحقيق الدكتور شوقى ضيف، طبع دار المعارف بمصر1955.

18. ابن سناء الملك: دار الطراز عمل الموشحات، نشر الدكتور جودت الركابى – دمشق 1949.

19. ابن شهيد الأندلسي: رسالة التوابع والزوابع – نشرها مع مقدمة طويلة طرس البستانى، بيروت 1951.

20. ابن عبد ربه: العقد الفريد – طبعة لجنة التإليف والترجمة والنشر، القاهرة 1941-1952.

21. ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب في اخبار ملوك الأندلس والمغرب – نشر دوزى الجزاين الأول (عن المغرب) والثانى (عن الأندلس) في ليدن 1848- ونشر لبقى بروفنسال الجزء الثالث عن الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، باريس 1930 – وطبعت مكتبة صادر في بيروت الجزاين الأول والثانى سنة 1950.

22. ابن غالب: فرحة الانفس – مقتطفات في نفح الطيب.

23. ابن قزمان: ديوان – نسخته الوحيدة مطبوعة بالتصوير الشمسى في برلين 1896 – ونشر الدكتور نيكل هذا الديوان بحروف لاتينية مع مقدمة وتعليقات وترجمة اسبانية لبعض قطعه في مدريد 1933.

24. ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس – مدريد 1926 (مع ترجمة اسبانية).

25. ابن نباتة المصرى: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون – القاهرة 1321هـ.

26. ابن هانئ الأندلسي: ديوان، طبعة مصر وطبعة بيروت.

27. ابو الفداء: المختصر في اخبار البشر، القاهرة 1325هـ – 4 اجزاء – تقويم البلدان، طبعة دوسلان، باريس 1840.

28. الابشيهى: المستطرف من كل فن مستظرف، القاهرة 1330هـ – جزءان.

29. احمد الاسكندرى واحمد امين ورفاقهما: المفصل في تاريخ الادب العربي، القاهرة 1936.

30. احمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، القاهرة 1924/1342.

31. اخبار مجموعة، في تاريخ الأندلس: كتاب مجهول المولف – نشره وترجمه للاسبانية لافويتنى اى الكنترا، مدريد 1868.

32. الادريسى: وصف افريقية واسبانيا – نص عربى وترجمة فرنسيه، نشرهما دوزى ودخويه، ليدن 1866.

33. بالنثيا (آنخيل جنثالث): تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الاسبانية حسين مونس، القاهرة1955.

34. بطرس البستانى: ادباء العرب في الأندلس و عصره الانعاث، بيروت 1938.

35. البكرى (ابوعبيد عبد العزيز): صفة افريقية – طبعة دوسلان- الجزائر 1911.

36. الثعالبى: يتيمة الدهر – القاهرة 1947.

37. جبرائيل جبور: ابن عبد ربه وعقده - المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1933 – مقال في الادب الأندلسي في مجلة الابحاث التي تصدرها الجامعة الامريكية في بيروت، العددان 2 و 3 من السنة الثانية، حزيران – ايلول 1949.

38. جورجى زيدان: تاريخ اداب اللغة العربية، الطبعة الثالثة سنة 1936.

39. الحجارى: المعجب في اخبار المغرب – مقتطفات في نفح الطيب.

40. حسين مونس: انظر بالنشيا، وغومس.

41. الحصرى .(ابو اسحاق): زهر الاداب وثمر الالباب – طبعة زكى مبارك، القاهرة1344/1925،4 اجزاء.

--*